المتشابه اللفظي في سورة النساء

د٠ فاطمة بنت صالح بن جاسر القبيسي (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين ، أما بعد ؛

فإن القرآن الكريم مُتشابِه في صحَّة معانيه وأحكامه، وتناسب ألفاظِه وأساليبه، وتَكرار قصصه، وأوامرِه ونواهيه، ووعْدِه ووعيده ،ومن هنا تَناول المفسِّرون وعلماء الإعجاز والبلاغة هذه الجوانب المتشابهة، وكانت لهم جهود مثمِرة فيها.

والتشابه اللَّفظي في القرآن الكريم يعدُّ ظاهرةً من أبرز ظواهر الإعجاز البلاغي فيه؛ حيث تتشابه بعضُ الآيات في جلِّ الألفاظ وتَختلف في بعضها، ممَّا يلفِت نظرَ القارئ المتأمِّل ويدفعه لتلمُّس السرِّ البلاغي وراء هذا التشابه، خاصَّة أنَّها تمثِّل ظاهرة في كثير من السور.

هنا جاءت فِكرة البحث في موضوع التشابه اللَّفظي، ولعلَّ من أهم أسباب اختيار الموضوع:

١ .خدمة ظاهرة التشابه اللَّفظي؛ فهي بحاجة إلى دراسة علميَّة منهجية.

٢ .الصِّلة الوثيقة بين ظاهرة التشابه اللَّفظي والدراسة البلاغيَّة؛ فكل آيةٍ استدعَتها طبيعة سورتها، واقتضاها مَقام ذِكرها، وهذه الصِّلة تكشف جانبًا من جوانب الإعجاز البياني للقرآن.

٣ .سورة النساء من أكثر السُّوَر التي تَجمع بين نوعين من التشابه اللَّفظي، هما: التشابه اللَّفظي بين آيات السورة نفسها، وتشابه آيات السُّورة مع غيرها من

(*) أستاذ البلاغة والنقد المساعد، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.

السور، وهذا يعمِّق النظرَ في موضوع التشابه، ويسهِم في كشْف بعضِ أسراره وظواهره.

وقد سار البحث في مراحله التي عالَجها لتحقيق أهداف جليلة، من أهمها:

١ .خدمة كتاب الله تعالى؛ حيث تعدُّ ظاهرة المتشابه اللفظي من ظواهرِ الإعجاز البلاغي فيه.

٢ .استِجلاء شيء من أسرار الإعجاز البياني، الذي يعدُّ أقوى وجوه إعجاز القرآن الكريم.

٣ .إبراز المعاني التي اقتضَت اختلاف الآيات المتشابهة، وبيان مُناسبة كلِّ حرف أو لفظ أو نظْم لسياقه، وحِكْمة اختصاص كلِّ آية بسورتها دون سواها.

أما منهج الدراسة فيقوم على المنهج الاستقرائي: بحَصْر الآيات المتشابهة مع آيات سورةِ النساء، مراعية الاستِقصاء والتتبُّع الدقيق؛ وذلك بالرجوع إلى الكتب التي عُنيَت برصْد الآيات المتشابهة لفظيًّا، وكذلك الإفادة من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لتتبُّع احتمال ورود مشابه للآية، ومن ثم المنهج الوصْفي التحليلي القائم على وصْف الآيات موضِع الدِّراسة وتحليلها، بالنَّظر أولًا لنَوع الاختلاف بين الآيات المتشابهة ومحاولة تجليته، ثمَّ تحليل الآيات تحليلًا بلاغيًّا.

هذا وقد اقتضَت طبيعة الموضوع أن يَنتظم في تمهيدٍ وفصلين وخاتمة.

التمهيد

– المقصود بالمتشابه اللفظي :

في اللغة: اسم فاعل من التشابه، وهو التماثل والتشاكل والتلابس، يقال: تشابه الشيئان: أي: تماثلا وتشاكلا في وجه من الوجوه، قال ابن فارس: «الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشكُّله لوناً ووصفاً »[١].

وفرق الجوهري بين المشتبه والمتشابه؛ فقال: «المشتبهات من الأمور: المشكلات والمتشابهات المتماثلات»[٢] ، وقريب منه قول ابن منظور: «الشبه والشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه ،وأشبه الشيء الشيء: ماثله، والمشتبهات من الأمور: المشكلات والمتشابهات: المتماثلات، وتشبَه فلان بكذا، والتشبيه والتمثيل»[٣].

في الاصطلاح : المتشابه معنى واسع، لكن المقصود هنا هو المتشابه اللفظي في القرآن الكريم الذي تتجلى فيه بلاغة القرآن، وجمال نظمه، ومن أوضح التعاريف له ما نقله الطبري عن بعض المفسرين: «أن المتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور بقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني»[٤]، وأضاف الزركشي في البرهان: «هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة»[٥]، وتبعه السيوطي فقال: «والقصد به إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة» [٦]. ونخلص مما سبق : أن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: هو تشابه

(١) معجم مقاييس اللغة ، أبو فارس بن زكريا: ٢٤٣/٣.

(٢) الصحاح ، الجواهري: ٦/ ٣٣٣٦.

(٣) لسان العرب ، ابن منظور : ٣٠٣/٣٣.

(٤) تفسير الطبري : ٣٩١/٣.

(٥) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي: ٢٣٣/٣.

(٦) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ٣/ ٣٠٤.

أو تماثل بين آيتين، أو عدة آيات في حرف أو في كلمة أو جملة أو في جمل بسبب تقديم أو تأخير أو تعريف أو تنكير أو حذف أو ذكر أو جمع أو إفراد ونحوه من وجوه التشابه مع عدم اختلاف، أو مع اختلاف المعنى بين تلك الآيات بحسب سياق كل لفظة وجملة .

- **جهود العلماء في توجيه المتشابه اللفظي :**

إن توجيه المتشابه يرمي إلى استجلاء أسرار النظم الكامنة في الفروق التعبيرية بين الآيات المتشابهة، والتدليل على مناسبة كل آية منها لموضعها بحيث لا يصلح أن تكون نظيرتها في موضعها ما دامت أنها مختلفة عنها في التعبير ولو بالقدر اليسير، ولذلك تجد توجيهات العلماء تختم بعبارة : "فاقترن بكل من المكانين ما كان أليق بالمقصود"(١) ، أو " فجاء في كل موضع بما يلائمه" (٢).

وقد التفت العلماء المتدبرون إلى متشابهات القرآن الكريم ، وهي تلك الآيات التي ترد في أكثر من موضع ، وتتشابه في ألفاظها ، مع اختلاف يسير في التعبير ، بتقديم أو تأخير ، أو زيادة أو نقصان ، أو إبدال حرف مكان حرف ، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بينها ، فأخذوا يتدبرون معانيها ، ويبحثون في الحكمة من تخصيص كل آية بما ورد فيها دون الأخرى؛ ردا على مطاعن الملحدين الذين رأوا في التشابه اللفظي تكرارا ينافي البلاغة ، وينقض الإعجاز ، ولعل أول من انبرى لذلك فأفرد هذا العلم بالتصنيف هو الخطيب الإسكافي ، وكان كتابه بعنوان :"درة التنزيل وغرة التأويل" ، ثم تلاه محمود بن نصر الكرماني، بكتابه المسمى : " البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان"، ثم صنف ابن الزبير الغرناطي كتابا سماه :" ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل" ، ثم تلاه بدر الدين بن

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي : ١٧٩ .

(٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن، محمود الكرماني :١٦٤ .

جماعة ، وذلك بكتابه : "كشف المعاني في المتشابه من المثاني "، ثم صار المتشابه اللفظي فنا قائما بنفسه ، له مؤلفاته الخاصة به[١].

ولكن كل هذه المؤلفات لم تحدد تعريفا للمتشابه اللفظي، وإنما اكتفى مصنفوها بالإلماح إلى مقصودهم من مصنفاتهم ، والإشارة إلى الآيات التي سيتناولونها .

ولعل أول من عرّف المتشابه اللفظي هو: الزركشي، وذلك في كتابه البرهان في علوم القرآن، حيث جعله النوع الخامس من علوم القرآن، وقد عرفه بأنه: " إيراد القصة في صور شتى، وفواصل مختلفة"[٢] .

ومع هذا السبق الذي يحسب للزركشي إلا أنه قصر المتشابه اللفظي على ما ورد في القصص القرآني، وهي _ وإن كانت أحفل المواضع بالمتشابه _ إلا أنها لا تشتمل على سائر ما جاء متشابها في القرآن الكريم، فالتعريف بذلك لا يعد دقيقا، ومع ذلك اكتفى كثير من المعاصرين بالقول به.

وبعد البحث في عدة تعريفات، أرى أن يعرّف المتشابه اللفظي بأنه: المقاطع أو الآيات التي جاءت في أكثر من موضع مع تقارب في المعنى، واختلاف في بعض الألفاظ، بنوع من أنواع الاختلاف، وذلك لغرض بلاغي.

ويجدر بي أن أنبه في هذا المقام على أنه ليس لي في هذا التعريف من فضل سوى دراسة التعريفات التي قرأتها عن المتشابه اللفظي ، ومحاولة الجمع بينها، وحذف ما لا حاجة إليه، وإضافة ما به يكون التعريف جامعا مانعا.

قال ابن الزبير الغرناطي :" وظن الغافل عن التدبر ، والمخلد إلى الراحة عن التفكر أن تخصيص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيراتها، ليس لسبب يقتضيه، وداع من المعنى يطلبه ويستدعيه ، وأن ليس على جميع الوارد من ذلك محرزات من المعاني عند ذوي الأفهام " .

---

(١) المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه، ابن الزبير الغرناطي:٣-٤ .

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ١/١١١ .

فالله العزيز الحكيم إذا أورد آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غير فيها لفظة عما كانت عليه الأولى ، فلابد من حكمة تنأى بها عن التكرار ، وتجلي معاني أخرى يتطلبها السياق.

فكرر الله _ تعالى _ في كتابه الكريم من المعاني والحقائق ما كانت الحاجة ملحة إلى ترسيخه في النفوس ، ولم يكن هذا التكرار مخلا بنظم القرآن ؛ إذ افتن في تصويره ، ونوع أسلوب عرضه في إحكام وانسجام(١)، قال تعالى : {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [سورة الزمر :٢٣].

وقد بحثت في سورة النساء عشرين موضعا مما تشابه مع غيره بتقديم أو تأخير ، وذكر أو حذف، واسمية أو فعلية ، وإيجاز أو إطناب ، ووصل أو فصل، سواء أكان بين آيات السورة نفسها، أو كان بينها وبين ما بعدها من آيات الذكر الحكيم .

**

(١) انظر ابن الزبير الغرناطي ، المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه: ٨ .

المبحث الأول

مضامين سورة النساء وموضوعاتها

هي سورة مليئة بالأحكام الشرعية التي تنظم الشئون الداخلية والخارجية للمسلمين، أتت سورة النساء لتتحدث عن نماذج للمستضعفين في المجتمع ، ولتتحدث عن أمور مهمة تخص المرأة والبيت والأسرة والدولة والمجتمع ، لكن معظم الأحكام فيها بحثت موضوع (النساء) ولذلك سميت بهذا الاسم .

١- افتتح الله تعالى سورة النساء بخطاب الناس جميعا ودعوتهم للإيمان بالله وحده.

ثم انتقلت الآيات لتوصي بالأيتام والنساء خيراً، وذكرت حق الأقارب وأحكام المواريث .

٢- بيّنت الحدود المتوجب إقامتها على كل من الرجال والنساء إن ارتكبوا الفاحشة ، وحذرت من عادات الجاهلية في ظلمهن، وأكل مهورهن ، وعدم معاملتهن المعاملة الحسنة، وأعقبت ذلك بذكر المحرمات من النساء اللواتي لا يجوز الزواج بهن .

٣- نهت عن تمني ما خصّ الله به كلا من الجنسين على الآخر؛ لأن ذلك سبب للحسد والبغضاء ، وذكرت الآيات حقوق كل من الزوجين على الآخر، وأرشدت إلى الخطوات التي ينبغي التدرج بها في حالة النشوز والعصيان، كما حثت بعدها على الإنفاق في سبيل الله.

٤- انتقلت للنهي عن الصلاة بعد شرب الخمر ، وبينت نواقض الوضوء، وضرورة التيمم في حالة عدم وجود الماء ، ثم انتقلت لتبين تحريف اليهود للكتب السماوية ، ودعت للإيمان بالله من قبل أن يحل العذاب على الكافرين كما حل بالأمم السابقة.

٥- وجّهت المؤمنين لطريق السعادة بطاعة الله ورسوله ، وأداء الأمانة والحكم بالعدل، ثم ذكرت صفات المنافقين التي ينبغي الحذر منها .

٦- من الإصلاح الداخلي انتقلت إلى الاستعداد للأمن الخارجي الذي يحفظ على الأمة استقرارها وهدوءها ، فأمرت بأخذ العدة لمكافحة الأعداء ، وبينت حال المتخلفين عن الجهاد المثبطين للعزائم من المنافقين محذرة المؤمنين من شرهم.

٧- أعقبت الحديث بذكر نوع آخر من المنافقين وهم : المظهرون إسلامهم ولم يهاجروا مع كفرهم، وذكرت مراتب المجاهدين ومنازلهم الرفيعة في الآخرة .

٨- ذكرت عقاب القاعدين عن الجهاد الذين سكنوا في بلاد الكفر ، ثم رغبت في الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان ، وما يترتب عليها من سعة وأجر ، وبيّنت كيفية صلاة المسافر وطريقة صلاة الخوف .

٩- تطرقت الآيات لموضوع النجوى وأنها لا تخفى على الله تعالى ، وأن مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم جرم عظيم، ثم حذرت ثانية من ظلم النساء في ميراثهن ومهورهن ، وذكرت النشوز وطرق الإصلاح بين الزوجين.

١٠- أمر الله تعالى في الآيات بالعدل التام في جميع الأحكام ، ودعت الآيات لأداء الشهادة على الوجه الأكمل، وأعقبت ذلك بذكر أوصاف المنافقين المخزية وما لهم من عقاب وعذاب أليم .

١١- ذكرت الآيات أنه تعالى لا يحب إظهار القبائح إلا في حق من زاد ضرّه ، ثم تحدث عن اليهود وموقفهم من رسل الله الكرام وعدّد جرائمهم الشنيعة.

١٢- ذكرت أن الإيمان بجميع الرسل شرط لصحة الإيمان، وأنه تعالى أرسل سائر الرسل مبشرين ومنذرين ، ثم دعت النصارى إلى عدم الغلو في شأن

المسيح باعتقادهم فيه فهو ليس ابن الله كما يزعمون ، ثم ختمت بآية الكلالة التي تدعو لرعاية حقوق الورثة من الأقرباء[1].

ومع كثرة هذه الموضوعات وتنوعها إلا أن المتأمل في سياقها لا يرى فيه تفاوتا ، حيث روعي التماسك النصي بين الآيات ، وروعي المتشابه اللفظي فيها، بحيث يكون الاختيار لمفردة دون أخرى أو لتركيب دون آخر مبنيا على السياق ودلالاته ، والمعنى وإيحاءاته .

**

(١) مضمون سورة النساء في المصحف الإلكتروني(e-quran.com)

المبحث الثاني

الخصائص البلاغية في مواضع التشابه اللفظي

وسيشمل توجيه المتشابه اللفظي في هذا المبحث أمرين :

بيان الاختلاف بين الآيات المتشابهة واستخراج الفروق الدلالية بينها.

ذكر السبب الذي يوجب اختصاص كل آية بما خالفت فيه نظيرتها .

وللوقوف على جملة من التفسيرات في توجيه متشابهات الكتاب العزيز في سورة النساء ، واستخراج لطائف النظم منها ، نتأمل الآيات التالية :

الموضع الأول:

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١].

يتشابه مع قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } [الأعراف: ١٨٩].

ومع قول الله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ } [النحل :٧٢].

وقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [سورة الروم :٢١].

وقوله تعالى: {خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ } [الزمر :٦].

وكذلك مع قول الله تعالى: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى :١١].

فأول ما يستوقفنا مطلع سورة النساء، حيث جُعل هذا المطلع مطلعا لسورتين في القرآن: إحداهما: هذه السورة وهي السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن. والثانية: سورة الحج، وهي أيضا السورة الرابعة من النصف الثاني من القرآن، ثم إنه تعالى علل الأمر بالتقوى في هذه السورة بما يدل على معرفة المبدأ، وهو أنه تعالى خلق الخلق من نفس واحدة، وهذا يدل على كمال قدرة الخالق وكمال علمه وكمال حكمته وجلاله، وعلل الأمر بالتقوى في سورة الحج بما يدل على كمال معرفة المعاد، وهو قوله:{ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج: ١] ، فجعل صدر هاتين السورتين دلالة على معرفة المبدأ ومعرفة المعاد، ثم قدم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد(١).

إن المتأمل في هذه الآيات يجدر به أن يسأل عن وجه تخصيص جميع الآيات بالفعل "جعل"، بينما اختصت آية النساء بالفعل "خلق"، فما الفرق بينهما ؟

ثم ما سبب التعبير بـ(ثم) في آية الزمر عوضا عن الواو، وترك الوصل في الشورى؟

أجاب الغرناطي على جملة من هذه التساؤلات، فكان جوابه عن الأول: أن العبارة بخلق واردة على ما ينبغي، ومطابقة للمعنى المقصود، إذ تكون عن عدم سابق، حيث لا تتقدمها مادة ولا سبب محسوس، أما جعل فتتوقف على موجود، ففي الأعراف مثلا قُصد معنى السكن، وكأنه أريد نفي المغايرة تقريبا وتأنيسا لحصول الركون الذي جعله الله من آياته؛ فكانت (جعل) أوقع في هذا الغرض، أما سورة النساء فعبر فيها بـ(خلق) لمقصود الآية من التعريف بالأولية والابتداء،

(١) الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري:١١٣/٤

ولمناسبة ما اتصل بها من قوله: خلقكم حتى يوافقه من اللفظ ما قصد من المعنى[١].

وجوابه عن زيادة (ثم) في الزمر خلافا لتلائم قصد الامتنان على الإنسان وتفاوت آية خلق الإنسان مع خلق زوجه منه، ثم قال :"فإن قلت: فقد كان الوجه على هذا لو قيل: ثم أنزل لكم من الأنعام، قلت: هذه نعمة لا تفتقر لبيان أمرها إلى التنبيه بـ (ثم)، وليست موضع تغفل أو تخف، وإنما موضع (ثم) حيث يراد الاعتناء والتنبيه على قدر المعطوف بها لاحتمال أن يخفى، فإذا كان غير خاف وبين الاستقلال بنفسه لم يفتقر إلى هذا، ومن حيث قصد معنى الامتنان كانت (جعل) أولى لما تقدم من معناها "[٢] .

فالتعبير بـ (ثم) حيث لا يقصد مهلة الزمان تنبيها على حال ما يعطف بها ومحله، والإشارة إلى أنه بحيث لو لم يُذكر ما قبله لكان كافيا في المقصود، هذا ما تحصله حيث لا يقصد مهلة الزمان، فلما قصد في آية الزمر الإنعام والامتنان وتعداد ذلك تعظيما وتفخيما ورد بـ (ثم) .

قال الزمخشري: فإن قلت: ما وجه قوله: { ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا } وما يعطيه من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي عدّدها دال على وحدانيته وقدرته: تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم، وخلق حواء من قصيراه؛ إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرّة، والأخرى لم تجريها العادة، ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل، فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع، فعطفها بـ (ثم) على الآية الأولى، للدلالة على مباينتها لها فضلاً

---

(١) انظر ملاك التأويل : أحمد الغرناطي:٣٣٤/١، ودليل الآيات متشابهة الألفاظ: سراج ملائكة :١٣٨

(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، :٢٣٤/٤ .

ومزية، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في الحال والمنزلة، لا من التراخي في الوجود(١).

الموضع الثاني:

قوله تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا } [النساء: ٥].

وقوله تعالى : {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا } [النساء: ٨].

ففي هذه الآية خطاب للأولياء في أموال اليتامى في رعاية حقوقهم التي هي مظنة السلب منهم ؛ نظرا لضعفهم وقلة حيلتهم، ولذا جاء السياق القرآني بجملة من الأحكام والتوجيهات التي من شأنها أن تحفظ لهم حقوقهم .

فتأمل كيف استطاعت كلمات هذه الآية : {فَارْزُقُوهُم} أن تبسط جناحيها، لتشمل كل أنواع البر، وصلة الرحم، وهذا من إيجاز القصر، كما أضافت ملمحا معنويا رائعا، حيث أشارت إلى أن كل هذا حق وواجب، ليس لمؤديه فضل، ولا منة.

وجاء النظم بذكر {اكْسُوهُمْ} وذلك لأن النهي في الآية الأولى للأوصياء، بأن لا يعطوا السفيه من الورثة حقه حتى يُحسن القيام عليه، ولا يُمكّن منه إلا بقدر ما يأكله ويلبسه، أما الآية الثانية فليست في شأن السفهاء، وإنما المراد بها المقتسمون لميراث يخصهم لا حق فيه لغيرهم، فيحضر معهم فقير أو يتيم أو محتاج فندبوا إلى التصدق عليهم والإحسان لهم، لا لحق هؤلاء في المال، فمن أين تلزم كسوتهم والتنصيص عليها(٢).

---

(١) انظر التفسير الكبير، فخر الدين الرازي:١٢٥/٩، والبحر المحيط ،أبو حيان الأندلسي:١٧٨/٣، وتفسير أبي السعود ، أبو السعود العمادي :١٤٥/٢.

(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور،:٢٣٤/٤ .

وقوله: { فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ } واقع موقع الاحتراس، أي لا تؤتوهم الأموال إيتاء تصرف مطلق، ولكن آتوهم إياها بمقدار انتفاعهم .

وقد اهتدى إلى تعليل عدول الآية عن تعدية الفعل بحرف (من) إلى (في) صاحب الكشاف فقال:" واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال، فلا يأكلها الإنفاق.

فالغرض – كما ذكره الزمخشري – هو الإشارة إلى أن يجعلوا الإنفاق من ربح المال الذي ينبغي عليهم استثماره .

وعلى هذا سار جمهور المفسرين حيث رأوا أن التعبير بحرف الظرفية لئلا يجعلوا بعض أموالهم رزقا لهم، بل أمرهم أن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم، بأن يتجروا فيها ويثمروها، فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول الأموال[١].

غير أن ابن عاشور استدرك على قصر معنى الظرفية على الإنفاق من الأرباح، لأنه تقييد لم يقم عليه دليل، ويرى أن التعبير بـ "في " هنا جاء على طريقة الاستعمال في أمثاله، حين لا يقصد التبعيض الموهم للإنقاص من ذات الشيء، بل يراد أن من جملة الشيء ما يحصل به الفعل: تارة من عينه، وتارة من ثمنه، وتارة من نتاجه، وأن ذلك يحصل مكررا[٢]، وبهذا يؤكد ابن عاشور أن العدول إلى حرف الظرفية؛ للاحتراز من التبعيض الموهم للإنقاص، وهذا ما سبق إليه الزمخشري والرازي، إلا أنه يؤكد أن الإنفاق لا يقتصر على كونه من الربح، بل يكون من صلب المال أيضا[٣].

---

(١) انظر الإيضاح : الخطيب القزويني، ٣٠٦، وانظر شروح التلخيص: جلال الدين القزويني: ٢١٥/٣ .

(٢) انظر درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي ، : ٥٠.

(٣) لمسات بيانية ، فاضل السامرائي ،: ٨٧.

والفرق بين الآيتين الكريمتين، أن الأولى جاء الأمر فيها للوجوب؛ إذ تعنى بحفظ الأموال، وعدم إيتائه السفهاء ، فناسبها حرف الظرفية ؛ للإشعار بحق النفقة الواجبة في المال، وشدة أحقيتهم فيه، أما الآية الثانية فقد ورد الأمر فيها للندب، بأن يعطوا ذوي القربى عند حضور القسمة شيئا منها، من باب الصلة والإحسان، فناسب هذا المقام حرف التبعيض، كما ناسبه أيضا الاكتفاء بالرزق منه مع عدم ذكر الكسوة، في حين جاء التعبير القرآني بعطف الخاص على العام في الآية الأولى، وذلك بذكر الكسوة بعد الرزق، وهذا يتماشى مع يسر الشريعة، فجاء كل تعبير في مكانه الذي يقتضيه الحال .

ثم تأمل قوله تعالى : {فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ} ، وأحسب أنك لست بحاجة إلى من يخبرك بأنها قد دلت على معان عديدة، يصعُب حصرها ،ثم خصص النفقة والكسوة ليسلم إعطاؤهم النفقة والكسوة من الأذى، فإن شأن من يخرج المال من يده أن يستثقل سائل المال ، فهي زيادة أفادت معنى، وهذا ما يُعرف بالتتميم .

الموضع الثالث :

ورد في سورة النساء قوله تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [النساء: ١٣].

نتساءل لماذا اقترن لفظ {أَبَدًا} في خلود الكافرين في النار وأحياناً لا ترد؟

فكلمة{أَبَدًا} ترد أحياناً مع أهل النار ، وأحياناً مع أهل الجنة ، وأحياناً يذكر الخلود من دونها.

والقاعدة هو أنه إذا كان المقام مقام تفصيل وبسط للموضوع يذكر : {أَبَدًا} أو إذا كان المقام مقام تهديد كثير أو وعيد كثير أو وعد كثير كما جاء في الوعد الكثير للمؤمنين في سورة البينة وتفصيل جزائهم { جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } [٨] ، وكذلك في سورة الجنّ الآيات فيها تهديد ووعيد شديد للكافرين فجاءت {أَبَدًا} في{ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } [الجن :٢٣] ، وكذلك في سورة الأحزاب في مقام التفصيل والتوعّد الشديد ذكر {أَبَدًا} في : { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا}.

وإذا لم يكن كذلك أي كان مقام إيجاز لا يذكر{أَبَدًا}مثل{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ } [البينة:٦] (١)، ومن المواضع التي ذكرت بحذف لفظ التأبيد مع ذكر الفوز العظيم، ومثلها كل من: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة :٨٩].

{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [الحديد :١٢]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (١١) (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١٢)} [الصف :١٠-١٢]

أما الآيات التي وردت بذكر كلمة "أبدا" مع ذكر الفوز العظيم، فهي :{ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }[المائدة :١١٩].

{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة :١٠٠]

---

(١) انظر لمسات بيانية، فاضل السامرائي :٨٨.

{يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التغابن :٩] (١)، فما سر الذكر والحذف في نظرهما ؟

تحدث الخطيب الإسكافي عن حذف لفظ التأبيد في آية التوبة وآية المجادلة: { لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: ٢٢]، فذكر أن ما تقدمهما يدل على التأبيد، فلما طال الكلام في مدحهم والثناء عليهم حذف {أَبَدًا} لدلالة ما قبله عليه، يقول: "إنما حذفت من أول الآيتين اللتين في براءة، وآخر آية في سورة المجادلة ؛ لأنه ذكر قبل الآية التي في براءة قوله تعالى : { وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[التوبة: ٨٨]، وبعد الآية التي في آخر المجادلة : {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[المجادلة: ٢٢]، "فلأن في خالدين ما يدل على التأبيد ثم قد نزل منزلته أخبار هي في مدحهم، وهي قوله: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} فلما تظاهر فيها مثل هذه الأخبار التي هي ثناء من الله جل ذكره عليهم، ومدح لهم، وطال الكلام بها، فاستغني بذكر خَالِدِينَ عن ذكر قوله : أَبَدًا وحسن حذفه، ولم يحسن في المواضع الأخر التي لم تتظاهر فيها مثل عدة هذه الأخبار الموجبة لهم دار الخلد ودوام النعيم "(٢).

---

(١) البرهان في علوم القرآن بدر الدين الزركشي:١/١١٧، دليل الآيات متشابهة الألفاظ، سراج ملائكة:١٢٤.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي :٥١

ثم تحدث عن الحذف في آية النساء فيرى أنه في النساء لم يذكر أَبَدًا ؛ لأنه ذكر بعده في مقابلة {خَالِدِينَ} كلمة: {خَالِدًا} {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} ، ولم يقل {أَبَدًا} ، فلو ذكر فيهما {أَبَدًا} لطال الكلام .

أما الحذف في سورة الحديد فلأنه ذكر قبله :{ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم} [الحديد: ١٢]، فلما طال الكلام في مدحهم ذكر بعد ذلك تأكيدا بقوله :"هو" استغنى بقوله: {خَالِدِينَ} عن {أَبَدًا} وهذا الجواب عن إدخال هو بعد ذلك؛ لأنه ذكر ذلك بدلا وتأكيدا عن {أَبَدًا} ،وليس كذلك في المواضع الأخر(١) .

"ونفهم من توجيه الإسكافي أنه علل الآيات التي ورد فيها الحذف دون التي ورد فيها الذكر، ومجمل توجيهه أن طول الكلام ودلالة لفظ الخلود سبب في الحذف، وأرى أن هذا لا يكفي في توجيه النصوص، فجميع الآيات ورد فيها ذكر الخلود سواء التي ذكر فيها لفظ التأبيد أو التي حذف منها "(٢).

أما ابن الزبير الغرناطي فقد نظر للآيات التي اختصت بذكر التأبيد، فيرى أن آية المائدة وكذلك الآية الثانية في سورة التوبة قد بنيتا على الإطناب، فناسبهما ذكر اللفظ، يقول في ذلك: "لما كان المشار إليهم في الآيتين هم الأسوة والقدوة لمن سواهم، ناسب حالهم الإطناب فذكر الرضا والتأبيد " (٣).

أما في سورة الطلاق فقد ورد قوله تعالى:{ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ

(١) انظر السابق: ٥١.

(٢) انظر المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ، صالح الشثري :٣٥٢.

(٣) ملاك التأويل، أحمد الغرناطي :١/٣٣٨ .

اللَّهُ لَهُ رِزْقًا } [الطلاق :١١] فلما أشارت آي السور إلى غايات ونهايات، ناسب ذلك التعريف بأن خلود الجنة متأبد لا انتهاء له.

وفي آية البينة "حكم مقتضى الترتيب الثابت آخر آية ذكر فيها حال المؤمنين في الجزاء الأخروي ،معقبا به ذكر جزاء من كان في طرف من حالهم من مستوجبي النار على التأبيد، فكانت هذه الآية مظنة استيفاء للحال"(١).

أما ابن جماعة فاقتصر توجيهه على آية المائدة وآية المجادلة، فقد ذكر أنه لما تقدم وصف المؤمنين بالصدق في المائدة ونفعه إياهم يوم القيامة بالخلود في الجنة أكده بقوله : {أَبَدًا} ولما تقدم في المجادلة كتب الإيمان في قلوبهم وتأييدهم بروح منه أكده بقوله: رضي الله عنهم ورضوا عنه "(٢) .

ولعلك لاحظت أنه الموضع الوحيد الذي جاء بهذه الصورة، وهي إضافة الواو(٣)، أما في باقي المواضع فتأتي العبارات التالية :

١- "وذلك هو الفوز العظيم" في سورة التوبة آية ١١١ وفي سورة غافر آية ٩ .

وبتأمل آية التوبة نجد أن التعبير القرآني جاء بجملة :"ومن أوفى" فجاءت بالجملة الوافية، وكذلك فيها البشرى من الله سبحانه وتعالى للذين قدموا أنفسهم وأموالهم للجهاد في سبيل الله، فكان التأكيد على الفوز بأكمل صورة .

وكذلك الحال في آية غافر ٩ حيث نرى الفضل الكبير من الله سبحانه وتعالى عندما يقي المؤمنين من السيئات بدعاء الملائكة لهم، واستغفارهم للذين آمنوا فيكون ذلك أكبر رحمة، فجاءت على أكمل صورة .

٢- "ذلك هو الفوز العظيم" التوبة :٧٢، يونس:٦٤، الدخان:٥٧، الحديد :١٢

٣- "ذلك الفوز العظيم" المائدة ١١٩، التوبة ٨٩و١٠٠، الصف :١٢، التغابن :٩ .

---

(١) انظر البرهان في متشابه القرآن، محمود الكرماني:١٥٤.

(٢) انظر كشف المعاني، ابن جماعة : ١٥٣.

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن بدر الدين الزركشي:١/١١٧، دليل الآيات متشابهة الألفاظ سراج ملائكة:١٢٤ .

٤- "إن هذا لهو الفوز العظيم" الصافات :٦٠ .

جاءت هنا بنسق مختلف أكثر كمالا وتأكيدا بأداتين إن – اللام وذلك لما عاين أصحاب الجنة ما هم فيه من النعم وخلودهم في الجنة، وليس هناك موت ولا عذاب.

وقد ذكر الكرماني في توجيه آية النساء أنها "اختلفت عن آية التوبة لوجهين: موافقة ما قبلها، وهو جملة مبدوءة بالواو، وذلك قوله :"ومن يطع الله"، الثاني : موافقة ما بعدها، وهو قوله :"وله" بعد قوله :"خالدا فيها"، أما آية التوبة فخلت من ذلك(١).

الموضع الرابع :

تأمل قوله تعالى:{ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا} [النساء: ٢٢].

وجاء في الإسراء : {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً }[الإسراء :٣٢].

للسائل أن يسأل عن زيادة قوله :"ومقتا" في سورة النساء، وسقوط ذلك في سورة الإسراء .

والجواب عن ذلك أن المقت هو النقص والاستحقار، ومتزوج امرأة أبيه قد ارتكب رذيلة يمقت فاعلها، وتستخسه الطباع السليمة، فوسمت فعلته بالمقت، وساوت الزنا فيما وراء ذلك، فلهذا زيد في آية النساء قوله :"ومقتا"(٢).

فسورة النساء فيها نهي عما كان يحدث في الجاهلية من زواج الأبناء لزوجات آبائهم، فهذا أمر قبيح حرمه الله، ومن يفعله بعد ذلك فقد اقترف ذنبا أقبح من الزنا، فجاء فيها زيادة عن الآية التي في الإسراء بكلمة :"ومقتا" .

---

(١) انظر البرهان في متشابه القرآن، محمود الكرماني:١٥٤.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي :٥٥.

الموضع الخامس :

قوله تعالى: { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيم (٢٤) وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النساء [٢٤ –٢٥].

أما في سورة المائدة فقد ورد قوله تعالى: { الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[المائدة :٥]

يقول الغرناطي: لا إشكال في هذه الآية ؛ لأن مصرف الوصف في الأولى للإماء المتزوجات عند عدم الطول، ومصرف الوصف في المائدة للمتزوجين من الرجال(١).

وحيث كان اسم السورة مؤنثًا، والمجال خاصًّا بمعاملة النساء، جاءت فيها كلمة "بالمعروف"، والتي لم تأت في المائدة .

أو لأن ما في هذه السورة وقع في حق الأحرار المسلمين فاقتصر على لفظ غير مسافحين، والثانية في الجواري وما في المائدة في الكتابيات فقال ولا متخذي

(١) انظر ملاك التأويل ، أحمد الغرناطي :٣٤١/١.

أخذان حرمة للحرائر المسلمات لأنهن إلى الصيانة أقرب ومن الخيانة أبعد ولأنهن لا يتعاطين ما يتعاطاه الإماء والكتابيات من اتخاذ الأخذان التكرار(١) .

الموضع السادس :

{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا }[سورة النساء :٣٧].

{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}سورة الحديد:٢٤].

أية النساء معناها يبخلون بالمال والغنى والنعم . { وَأَعْتَدْنَا } أي أعددنا لهم ذلك، ووضع المظهر موضع المضمر إشعاراً بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعم الله تعالى، ومن كان كافراً لنعمه فله عذاب يهينه كما أهان النعم بالبخل والإخفاء، ويجوز حمل الكفر على ظاهره، وذكر ضمير التعظيم للتهويل لأن عذاب العظيم عظيم، وغضب الحليم وخيم، والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها، أما آية الحديد ففي صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ ، وقد ورد : {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ } [النساء: ١٤] .

{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا } [النساء : ٣٧].

{وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} [النساء:١٠٢] .

{أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} [النساء:١٥١] .

الموضع السابع :

ومن متشابه النساء قوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء ٤١].

---

(١) انظر البرهان في متشابه القرآن، محمود الكرماني : ١٥٤.

في حين قال عز وجل: { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ } [النحل :٨٩].

وهذا الموضع مما انفرد ببحثه ابن الزبير حيث يرى أن للسائل أن يسأل عن اختلاف الآيتين من حيث التقديم والتأخير ؟

والجواب عن ذلك أن آية النحل تقدمها " ويوم نبعث في كل شهيدا عليهم من أنفسهم " فتقدم اسم الشهيد على المشهود عليه فورد ما نسق على ذلك من الإخبار بشهادته عليه السلام على أمته مرتبا على ما تقدمه من مقتضى النظم في التناظر والتناسب، أما آية النساء فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم ولا كناية عنهم بضمير ولا اسم إشارة بل في آية النساء داع إلى تقدم المجرور بعلى، وهو أنه لما تقدم قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ } وذلك من صفة المنافقين، ناسب هذا تقديم المجرور في قوله: {وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا}حتى كأنه بحسب المفهوم لم يقصد به غيرهم ولا شهد على من سواهم، كما أنه ليس في آية النحل ما يقتضي ذلك بل مقتضاها إطلاق شهادته عليه السلام للجميع من صالح وطالح إذ لم يتقدم قبلها التقييد، بل الظاهر مما تقدمها أن المراد جميع من بعث صلى الله عليه وسلم إليه .

كما أن بناء فواصل الآيات قبل وبعد آية النساء روعي فيها مجيء المنون المنصوب من غير التزام حرف بعينه، فاستدعى ورودها على ذلك ما تقدمها من الفواصل وما تأخر عنها، أما كلمة (شهيدا) في النحل فلم تقع في الفواصل وإنما في أثنائها تناغما مع الآية السابقة والآية اللاحقة، واستمرار الآيات على ذلك إلى آخر السورة(١) .

---

(١) انظر البرهان في متشابه القرآن ، محمود الكرماني:١٥٤ .

الموضع الثامن :

وتدبر بلاغة التشابه بين قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا } [النساء: ٤٣].

وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [المائدة ٦]

ففي الأولى حذف لفظ "منه"، بينما ذكر في الآية الثانية ؟ وقد علل الكرماني ذلك بقوله :" لأن المذكور في هذه السورة (أي النساء) بعض أحكام الوضوء هو والتيمم، فحسن الحذف، والمذكور في المائدة جميع أحكامهما فحسن الإثبات والبيان "(١).

أما ابن الزبير فيرى أن آية المائدة اختصت بالزيادة لتأخرها في ترتيب المصحف، فقوله: "منه" بيان، والمتأخر يكون بيانا للمتقدم يقول :"زيادة "منه" بيان، ألا ترى أن قوله تعالى :"فامسحوا بوجوهكم وأيديكم " لا يحصل منه ما يحصل من زيادة "منه" فزيدت بيانا، واختصت بذلك آية المائدة لتأخرها في الترتيب الثابت عليه المصحف، والبيان يتأخر عما هو بيان له، فجاء على ما يجب(٢). وقيل: مع الزيادة في ترتيب السور جاء بزيادة منه(٣).

---

(١) انظر البرهان في متشابه القرآن، محمود الكرماني :١٥٥ .

(٢) انظر ملاك التأويل، أحمد الغرناطي ، :٣٤٤/١ .

(٣) انظر دليل الآيات المتشابهة، سراج الملائكة :١٤٢ .

ولعل أولى الأقوال بالقبول ما جاء به الكرماني وقد تابعه ابن جماعة والأنصاري، وذلك لأن آية المائدة ذكر من أولها تفصيل للوضوء، وتفصيل لواجباته، ثم جاء ذكر التيمم، أما آية النساء فجاءت تبعا للنهي عن قربان الصلاة مع شغل الذهن فليس فيها تفصيل مثل ما جاء في المائدة.

الموضع التاسع :

قوله تعالى:{ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء :٤٦].

وتشابهه مع قوله تعالى:{ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة ١٣].

وقوله تعالى كذلك : {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[المائدة :٤١].

جاءت في سورة النساء وفي الآية الأولى من المائدة " عَن مَّوَاضِعِهِ " بينما جاءت في الآية الثانية " مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ "

يجيب ابن عاشور بأن التحريف هنا مستعمل في الميل عن سواء المعنى وصريحه إلى التأويل الباطل، كما يقال: تنكّب عن الصراط، وعن الطريق، إذا أخطأ الصواب وصار إلى سوء الفهم أو التضليل، فهو على هذا تحريفُ مراد الله في التوراة إلى تأويلات باطلة، كما يفعل أهل الأهواء في تحريف معاني القرآن

بالتأويلات الفاسدة. ويجوز أن يكون التحريف مشتقّاً من الحرف وهو الكلمة والكتابة، فيكون مراداً به تغيير كلمات التوراة وتبديلها بكلمات أخرى لتُوافِق الأهواء في تأييد ما هم عليه من فاسد الأعمال. والظاهر أنّ كلا الأمرين قد ارتكبه اليهود في كتابهم. وما ينقل عن ابن عبّاس أنّ التحريف فساد التأويل ولا يعمد قوم على تغيير كتابهم، ناظرٌ إلى غالب أحوالهم، فعلى الاحتمال الأول يَكون استعمال عن في قوله :"عن مواضعه" مجازاً، ولا مجاوزة ولا مواضِعَ، وعلى الثاني يكون حقيقة إذ التحريف حينئذٍ نقل وإزالة[1].

قال هنا مِن بعد مواضعه، وفي سورة النساء" عَن مَّوَاضِعِهِ "، لأنّ آية سورة النّساء في وصف اليهود كلّهم وتحريفهم في التّوراة. فهو تغيير كلام التّوراة بكلام آخر، فكان إبعاداً للكلام عن مواضعه، أي إزالة للكلام الأصلي سواء عوّض بغيره أو لم يعوّض. وأمّا هذه الآية ففي ذكر طائفة معيّنة أبطلوا العمل بكلام ثابتٍ في التّوراة إذْ ألغوا حكم الرّجم الثّابت فيها دون تعويضه بغيره من الكلام، فهذا أشدّ جرأة من التّحريف الآخر، فكان قوله : " مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ "أبلغَ في تحريف الكلام، لأنّ لفظ (بعد) يقتضي أنّ مواضع الكلم مستقرّة وأنّه أبطل العمل بها مع بقائها قائمة في كتاب التّوراة[2].

وما قاله ابن عاشور مخالف لما ورد عن أبي حيان، فكل منهما نظر إلى جهة تختلف عن الآخر ... حيث راعى ابن عاشور ألفاظ الآيتين، بينما التفت أبو حيان إلى السياق حيث قال: الذي يظهر أنهما سياقان، فحيث وصفوا بشدة التمرد والطغيان، وإظهار العداوة، ونقض الميثاق، جاء يحرفون الكلم عن مواضعه، فكأنهم لم يتركوا الكلم من التحريف عن ما يراد بها، ولم تستقر في مواضعها، فيكون التحريف بعد استقرارها، بل بادروا إلى تحريفها بأول وهلة. وحيث وصفوا

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور : ١٢٩/٥.

(٢) انظر السابق: ١٢٩/٥.

ببعض لين وترديد وتحكيم للرسول في بعض الأمر، جاء من بعد مواضعه. فكأنهم لم يبادروا بالتحريف، بل عرض لهم التحريف بعد استقرار الكلم في مواضعها(١).

قال النسفي:" يُحَرِّفُونَ الكلم عَن مواضعه " يميلونه عنها ويزيلونه؛ لأنهم إذا بدلوه ووضعوا كلماً غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها مقامه . ثم ذكر هنا « عَن مَّوَاضِعِهِ » وفي المائدة "مِن بَعْدِ مواضعه"، فمعنى: "عن مواضعه": إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه، ومعنى " مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ " أنه كانت له مواضع هو جدير بأن يكون فيها، فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره ، والمعنيان متقاربان(٢).

ثم وجدت النسفي يفرق بين اللفظتين في تفسيره فينسب الأولى إلى التحريف المعنوي والتأويل الباطل الفاسد والثانية إلى التحريف اللفظي وهذا في تفسير سورة المائدة، قال النسفي في تفسير" يحرفون الكلم عن مواضعه " المائدة :١٣، يفسرونه على غير ما أنزل(٣).

وفرّق رحمه الله بين الآية السابقة وبين قوله تعالى :"يحرفون الكلم من بعد مواضعه " [المائدة : ٤١] فقال: " أي يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا موضع ".

وانتصب الرازي لهذه المسألة فقال في تفسيره [سورة النساء : ٤٦] ذكر الله تعالى ههنا: " عَن مَّوَاضِعِهِ " وفي المائدة " مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ "[المائدة: ٤١] ، والفرق أنا إذا فسرنا التحريف بالتأويلات الباطلة، فههنا قوله: "يُحَرّفُونَ الكلم عَن مواضعه"

---

(١) انظر البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي :٨٤/٢.

(٢) تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله النسفي: ١: ٣١٢.

(٣) السابق :٣٢١/١.

معناه: أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص، فههنا قوله: "يُحَرّفُونَ الكلم عَن مواضعه "معناه: أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص، وليس فيه بيان أنهم يخرجون تلك اللفظة من الكتاب .

وأما الآية المذكورة في سورة المائدة، فهي دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين، فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة، وكانوا يخرجون اللفظ أيضا من الكتاب، فقوله: "يُحَرّفُونَ الكلم " إشارة إلى التأويل الباطل وقوله: " مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ "إشارة إلى إخراجه عن الكتاب(١).

لتقريب المراد: يرى أبو حيان أن اختلاف التعبير لاختلاف الترتيب الزمني للمحرِّفين.

"عن مواضعه "تحريف بني إسرائيل قبل بعث النبي (وهو لفظي غالباً).

"مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ": تحريف بني إسرائيل زمن النبوة الشريفة (وهو تحريف المعنى غالباً)؛ لأن ألفاظ التوراة استقرت (على التحريف اللفظي الأول السابق) والحكم في بيان أي المعنيين مراد، هو السياق .

بعد فهم هذا، تبين ما جاء في البحر المحيط: "والذي يظهر أنهما سياقان، فحيث وصفوا بشدة التمرد والطغيان، وإظهار العداوة، واشترائهم الضلالة، ونقض الميثاق، جاء يحرفون الكلم عن مواضعه، ألا ترى إلى قوله: "ويقولون سمعنا وعصينا" وقوله: "فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه " فكأنهم لم يتركوا الكلم من التحريف عما يراد بها، ولم تستقر في مواضعها، فيكون التحريف بعد استقرارها، بل بادروا إلى تحريفها بأول وهلة، وحيث وصفوا ببعض لين وترديد وتحكيم للرسول في بعض الأمر، جاء من بعد مواضعه. ألا ترى إلى قوله: {يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا } ، وقوله بعد: {فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ } فكأنهم لم

(١) انظر التفسير الكبير، فخر الدين الرازي :٤/٥٦ .

يبادروا بالتحريف، بل عرض لهم التحريف بعد استقرار الكلم في مواضعها[1].

الموضع العاشر :

قوله تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء :٤٨].

وقوله تعالى في السورة نفسها: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا }[النساء ١١٦].

فما فائدة تكرار هذه الآية، وعن اختلاف الفاصلة في كل من الآيتين.

أما الجواب عن التكرار فلأن صدر السورة لما اشتمل على ذكر الأحكام وانتهى إلى ذكر التيمم ثم انقطع ذلك بالحديث عن اليهود بقوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ} [النساء :٤٤]، ثم توعدهم إن أقاموا على الكفر بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [النساء :٤٧]، وأتبع ذلك ما دل به على عظم الكفر، وأما الموضع الثاني تقدمت فيه آية هي قوله تعالى : { وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء: ١١٥]، فأعاد ذكر عظم الشرك توعدا لصنف آخر من الكفار لم يدخلوا في جملة من ذكرهم ليعلم أنهم وإن خالفوهم دينا فقد وافقوهم كفرا .

أما إتباع الأول "فقد افترى إثما عظيما" فلأن من أريد بالآية الأولى قوم عرفوا صحة نبوة النبي عليه الصلاة والسلام من الكتاب الذي هو معهم، فكذبوا وافتروا ما لم يكن عندهم، فكان كفرهم من هذا الوجه الذي أضلوا به أتباعهم، وأما إتباع الثاني "فقد ضل ضلالا بعيدا" فلأن من أريد به مشركو العرب وهم لم يتعلقوا بما

---

(١) انظر البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي،:٨٦/٢

يهديهم ولا كتاب في أيديهم فيرجعوا إليه فيما يتشككون فيه، فقد بعدوا عن الرشد وضلوا أتم الضلال(١).

وكان لابن الزبير توجيه يكاد يلتقي مع قول الإسكافي، حيث يرى أنه ناسب ما تقدم من أوصاف الشرك الافتراء الذي هو أخص صفات من كذب من أهل الكتاب مع أن المشرك مفتر، ولما لم يتقدم مثل ذلك في الآية الأخرى، فلم يقع ذكر تحريف ولا افتراء إنما ذكر منافقو أيامه(٢) .

الموضع الحادي عشر:

قوله تعالى :

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } [النساء :٦١].

وتشابهه مع قوله تعالى :{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } [المائدة :١٠٤].

ما وجه الزيادة فيما ورد في الأولى: "إلى ما أنزل الله وإلى الرسول" والاكتفاء في الثانية بقوله: "إلى ما أنزل الله" مع استوائهما في دعاء المخالفين إلى الرجوع إلى الحق .

والجواب عن ذلك كما يورد ابن الزبير إلى أن حال المدعوين مختلف، فإن الآية الأولى في منافق ويهودي تخاصما وتحاكما إلى كعب بن الأشرف ورضيا بحكمه، فالمراد بالآية المنافقون، لأنهم المظهرون أنهم آمنوا بما أنزل على محمد ﷺ، مع أنهم يتحاكمون إلى غيره في قضية تخاصم لا بد من التحاكم فيها إلى مجتهد يفصل فيها بما فهمه الله من كتابه، والقضية واقعة حال وجوده ﷺ، فإليه المرجع وهو المعصوم من الظلم، فلهذا أضيف "وإلى الرسول" .

(١) انظر درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي :٥٩ .
(٢) انظر ملاك التأويل، أحمد الغرناطي: ٣٤٧-٣٤٨.

وأما آية المائدة فمبنية على ما تقدمها مما سنه أهل الجاهلية؛ تغييرا لملة إبراهيم عليه السلام وابتداع عبادة الأصنام، ودان بفعلهم في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وبين حكمه فيها، فحكم هذه الأشياء بين واضح ، لا يفتقر إلى غير سماعه إذا حصل التصديق به، وسواء سمع ذلك منه ﷺ، أو من غيره لتواتر نقله، فلهذا لم يذكر هنا دعاء إلى زائد على المنزل .

الموضع الثاني عشر:

وتأمل قوله تعالى :{ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا }[النساء :٨٧] ، وقوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا }[النساء :١٢٢] ، حيث اختلف التعبير فجاء في الأولى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} ، وفى الثانية: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا }(القول): يكون الإخبار به عن نفسك وعن غيرك، وأصله أن يكون الإخبار به عن غيرك، أما (الحديث): فيكون الإخبار به عن نفسك وعن غيرك ولكن الأصل فيه تخبر به عن نفسك(١).

فنجد مدى التناسب فنجد الآية الأولى : {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } فعندما تحدث الله عن نفسه جاء التعبير بـ"الحديث" ، بينما في الآية الثانية تحدثت الآية عن الذين آمنوا ، بل إن الآيات قبلها تتحدث عن الشيطان واتباعه ، فوضحت المناسبة ، ووضح اختصاص كل من العبارتين بمكانه وإن العكس لا يلائم(٢).

قوله تعالى: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } ، وبعد هذا {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا }، للسائل أن يسأل عن اختلاف التعبيرين مع أن المتقدم في كل من الآيتين إخبار عن الآخرة.

---

(١) انظر درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الإسكافي :٨٤، وملاك التأويل، أحمد الغرناطي:٣٦٧.

(٢) بلاغة الكلمة، فاضل السامرائي :١٣-١٤ .

ففي الأولى: { لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ } وفى الثانية: وما وعد الله به المؤمنين في قوله :"{ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } ثم جيء بالتمييز مختلفا، فقيل في الأولى :{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } "، وفى الثانية : {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } ، فخولف في العبارة مع وحدة المعنى فيسأل عن ذلك وهل كان يجوز العكس؟

والجواب أن التعبير الثاني هو المبني على ما يجب ربطه به من قوله : { وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا} وقيل: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} وأنيب مناب وعدا فكأن قد قيل: ومن أصدق من الله وعدا وهو ما وعدهم به تعالى من النعيم وعظيم الإحسان .

فجيء بلفظ يوازن المصدر عن قبله وهما وعدا وحقا ، ويشابههما في الخفة، فسكون عين الكلمة وعدد حروفها كالمصدرين قبلها، وكأنه إنما أريد تكرار المصدر بلفظه فاستثقل التكرار للتقارب ولعادة العرب في ذلك، فعدل إلى ما يحقق المعنى ولتجري المصادر الثلاثة مجرى واحدا خفة ووزنا إحرازا للتناسب والتلاؤم، ولما لم يتقدم في الآية الأولى ما يستلزم هذا وإن قوله تعالى :{ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ } إخبار وحديث عن البعث وجمع الخلق لحسابهم ومجازاتهم فهو إخبار وإنباء، ومثله ما ورد في قوله تعالى إخبارا عن قول منكري البعث : {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ}.

فالإنباء هنا هو ذلك الخبر الصدق منه تعالى بقوله : {لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ} الآية فقد وضح ورود كل واحدة من الآيتين على ما يناسب ويلائم والله أعلم(١).

ويلحظ أن الآيتين جاءتا بعد ذكر الآخرة وما يتعلق فيها، ولكنَّ التمييز جاء مختلفً {حديثًا}، و{قيلاً} {ومن أصدق من الله {حديثًا}...{قيلاً}} مع أن السياق واحد؛ فهل يجوز أن نستبدل إحدى الكلمتين بالأخرى؟

---

(١) انظر ملاك التأويل، أحمد الغرناطي: ٣٥٣ . وانظر كشف المعاني، ابن جماعة:٦٧.

والجواب: لما كان التعبير في الثانية مرتبطًا بقوله تعالى { وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا } فقيل عندها ما يناسبها وهو قوله تعالى: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا }؛ لأنَّ الوعد هو قول، ويحتمل أن يصدق صاحبُه أو لا يفي به..أما الآية الأخرى: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} فقد تقدمها الحديث على البعث والجمع والجزاء، وهي أمور غيبية فهي نبأ صادق من الله تعالى، وهذا يناسبه قوله تعالى في خاتمتها: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } لمناسبته ما سبق من كلام في الآية نفسها (١) .

الموضع الثالث عشر :

وتأمل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }[النساء :٩٧].

ووردت في النحل في موضعين متتاليين بلفظ{ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [النحل ٢٨] ما الفرق بين توفاهم وتتوفاهم ؟

هؤلاء المستضعفون في آية سورة النساء هم قسم من الظالمين وليس كلهم فهم أقل أما الآية الثانية (ظالمي أنفسهم) فالذين ظلموا أنفسهم أكثر من المستضعفين لأنهم عموم الظالمين. فلمّا خصّ بقسم من الظالمين (المستضعفين) قال تعالى توفّاهم ولما كثُر العدد قال تتوفاهم. وهذا الحذف هو جائز من حيث اللغة للتخفيف، هذه قاعدة مثل تفرقوا وتتفرقوا وفي القرآن هذا كثير وهو أمر عام.

المتوفون في النساء هم جزء من الذين في النحل، الذين ظلموا أنفسهم من الكافرين على وجه العموم، وأما الذين في النساء فهم المستضعفون منهم فهم قسم وليس كلا، فلما كان هؤلاء أقل حذف من الفعل إشارة إلى الاقتطاع من الحدث،

(١) انظر درة التنزيل وغرة التأويل الخطيب الإسكافي:٨٤، ملاك التأويل : أحمد الغرناطي:٣٦٧.

وإلى قلته بالنسبة إلى الآخرين، فناسب بين الفعل وكثرة الحدث، والاستفهام إنكاري، حيث أُنكر عليهم إهمالهم الشكر والاعتبار[1] .

الموضع الخامس عشر :

قوله تعالى : { إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا } [النساء ١٠٥].

وقوله : {إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ } [الزمر :٤١].

هناك أمران يحددان استعمال إلى أو على:

١. (إلى) لم تستعمل في القرآن الكريم إلا مع العاقل{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} [المائدة :٤٨] ، أما (على) فهي استعملت للعاقل وغير العاقل {لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ} [الحشر :٢١]، و{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} [فصلت :٣٩].

٢. (على) قد تستعمل في العقوبات {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ} [الأعراف :١٦٢]، وقوله تعالى {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ } [الشعراء :٤].

إذا كانت علة الإنزال هي الحكم بين الناس أو ليبين للناس –في حال كون الوحي مازال يتنزل فتأتي (إليك) : { إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ } كما في النساء فقد أراه الله الحكم قبل الحدث في مثل هذه الأمر ،ولكن مازال ينزّل بدليل نزول هذه الآية بعد الحدث {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }[النحل ٤٤].

نزل علي يحمل معنى الفرض والأمر "كتاب الله عليكم " تأتى مع القرآن وكذلك: فرض علي ،" فرض عليك القرآن " وكذلك تمام المنزل ، ولكنهم يقصدون دليلا علي

(١) انظر نظم الدرر ، إبراهيم البقاعي: ١٧٠/٥، بلاغة الكلمة ، فاضل السامرائي:١٣-١٤.

ماكذبوا بـه يحدده السياق بين فعل أنزل ونزّل وبين أُنزل إليك وأُنزل عليك؟ أنزل على صيغة أفعل ونزّل على صيغة فعّل وهي تفيد التكثير. كما أن فعّل تفيد التدرج وصيغة نزّل تفيد الاهتمام، أما في قوله تعالى (وأنزل التوراة والإنجيل) فجاء الفعل أنزل لأنه نزل جملة واحدة.

وعلى هذا النحو الفرق بين فعل وصّى التي يستخدم للأمور المعنوية وفعل أوصى للأمور المادية، ثم إن استخدام (أنزل إليك) أو (أنزل عليك) لها دلالتها أيضا .

(نزله إليك) لم تستعمل إلاّ للعاقل كما جاءت للتعبير عن الرسول (نُزّل إليكم)، أما عليك فتستعمل للعاقل وغير العاقل كما في قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) وقوله تعالى (نزّله على قلبك)، وفي العقوبات لم يستعمل إلا على ولم تأت إلى مع العقوبات[1].

الموضع السادس عشر :

يقول تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[النساء:١١٥]، وفي الأنفال : {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الأنفال :١٣]، وقوله {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الحشر:٤]، للسائل أن يسأل عن إدغام الوارد في الحشر ، وفك الادغام في السورتين قبل، ما وجه ذلك مع أن الفك والإدغام فصيحان ؟

والجواب أن الإدغام تخفيف وليس بالأصل، فورد في النساء على الأصل ولم يقترن به ما يستدعي تخفيفه ولا سؤال في ذلك، ولما تقدم في الحشر قوله تعالى : { ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ } وتقدم الماضي مدغما، ولم يسمع في الماضي إلا تلك اللغة، فجيء بما حمل عليه من قوله :" وَمَن يُشَاق " مدغما ليحصل مجيء الإدغام قبله في الماضي من قوله :" ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ "وعطف "

(١) انظر بلاغة الكلمة ، فاضل السامرائي :١٣-١٤ .

وَرَسُولَهُ " على اسم الله تعالى، وقد وردت نسبة المشاقة لله ورسوله، وورد ذلك بالعطف بالواو وهو ما يناسب الفك، فاستدعى الموضع داعيان: أحدهما: ما قبله من الإدغام، والثاني ما بعده من العطف المشبه للفك(١).

قوله: "وَمَنْ يُشَاقِقِ" بالإظهار في هذه السورة ، وكذلك في الأنفال وفي الحشر بالإدغام" وَمَن يُشَاقِّ" ؛لأن الثاني من المثلين إذا تحرك بحركة لازمة وجب إدغام الأول في الثاني، لأنها تحركت بحركة لازمة الألف واللام في الله لازمتان فصارت حركة القاف لازمة وليس الألف واللام في الرسول كذلك ، وأما في الأنفال فلانضمام الرسول إليه في العطف ولم يدغم فيها؛ أن التقدير في القافات قد اتصل بهما فإن الواو توجب ذلك(٢) .

الموضع السابع عشر :

يقول تعالى : {إِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء :١٢٨].

يقول تعالى: {وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا }[النساء :١٢٩]

فيهما سؤالان: قوله في الأولى : {وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا}وفي الثانية: {وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا } والختامان: "خَبِيرًا" في الأولى، و "غَفُورًا رَّحِيمًا" في الثانية .

قال الإسكافي : الجواب عن الأولى أن معناها : إن خافت امرأة من زوجها ترفعا ونبوا لملل أو إعراضا لموجدة أو بذل فلا إثم في أن يتصالحا، على أن تترك له من مهرها أو بعض أثاثها ما يتراضيان به "والصلح خير" من أن يقيما على التباعد أو يصيرا إلى القطيعة، ونفس كل واحد منهما تشح بما لها قبل صاحبها، وقيل المراد شحهن على النقصان من أموالهن، وهذا يقتضي مخاطبة

(١) انظر ملاك التأويل، أحمد الغرناطي: ٣٥٣/١.
(٢) انظر بلاغة الكلمة ، فاضل السامرائي:١٣-١٤ .

الأزواج بمجانبة القبيح، وإيثار الحسنى في معاملتهن، فبعث الله تعالى في هذا المكان على فعل الإحسان، فأما الآية الثانية فإنه جاء بعد قوله :(وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ) في محبتهن والشهوة لهن، لأن ذلك ليس إليكم وإن حرصتم على التسوية بينهن فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ بأن تجعلوا كل مبيتكم وخلوتكم وجميل عشرتكم وسعة نفقتكم عند التي تشتهونها دون الأخرى فتبقى تلك معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة، فاقتضى هذا الموضع أن يحث الأزواج على إصلاح ما كان بينهم بالتوبة مما سلف، واستئناف ما يقدرون عليه من التسوية، ويملكونه من الخلوة وسعة النفقة وحسن العشرة فقال:" وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا ".

وجواب المسألة الثانية فقد بان ووضح بما ذكرت وبينت أنه لما قال: إن جافيتم القبيح وآثرتم الإحسان فالله به عالم وعليه مجاز، وهذا قوله: "فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" ، ولما عذر الأزواج في بعض الميل، وهو الذي لا يملكون خلافه، حثهم على ما يطيقون فعله، وعلى إصلاح ما سلف منهم، فإن الله يغفر لمن يقلع منهم عن قبائحه، ويؤثر بعدها الحسنى من أفعاله، وهذا قوله : {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا }(١) .

الموضع الثامن عشر :

قوله تعالى: {وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا(١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا } [النساء :١٣٠-١٣٢].

للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف ما أعقبت به هذه الآي الثلاث من أوصافه العلية.

---

(١) انظر درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الإسكافي :٣١.

لما قال : {يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ } ناسب هذا ذكر ما يقتضي من صفاته عموم وجوه الإحسان وإنه لا نفاد لما عنده مما به قوام عيشهم وكمال حال كل واحد منهم من الرزق والسكن والتأنيس، وإنه سبحانه المنفرد بعلم وجه الحكمة في تآلفهم وتفرقهم .

وأما الآية الثانية فلما كان الكل ممن في السماوات والأرض ملكا له سبحانه وتحت قهره وفي قبضته يفعل فيهم ما يشاء ولا يكون منهم إلا ما يشاؤه ويريده فهو الغني الحميد.

وأما الآية الثالثة فلما بدأت بأن لله ما في السماوات والأرض ختمت بأنه الوكيل والحافظ لجميع ذلك، منفردا بتدبيره وإمساك السماوات والأرض لئلا تزولا، فختام الآية بهذه الصفة من أنسب شيء وأبينه(١).

الموضع التاسع عشر :

قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء :١٣٥]

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [المائدة :٨].

فما فائدة تقديم "بِالْقِسْطِ" على قوله : "شُهَدَاءَ لِلَّهِ "في الآية الأولى، وتأخيره في الثانية ؟

والجواب أن الآية الأولى أمر من عنده عز وجل بأن يقوم بالحق فيها، ويشهد لله على كل من عنده حق لغيره يمنعه إياه حتى يصل إليه، فقدم القسط لأنه من تمام "

(١) انظر ملاك التأويل، أحمد الغرناطي : ٣٥٦/١-٣٥٧.

قَوَّامِينَ " إذ فعله يتعدى إلى مفعوله بالباء، وأما كلمة "شهداء" فإن حقها أن تجيء بعد تمام " قَوَّامِينَ "، وأما قوله :"لله" بعد شهداء، فلتلقه بالشهادة، كأنه قال: كونوا شهداء لله، لا للهوى والميل إلى ذوي القربى .

فالآية في المائدة، فحواها يدل أنها للولاة، فقال: " كُونُوا قَوَّامِينَ " لا لنفع، ويكون " بِالْقِسْطِ " متعلقا بقوامين، أي :كونوا قوامين لأجل طاعة الله، والحكم فيه في حال كونكم شهداء[1].

وأما الغرناطي فقد نظر إلى السياق كعادته فيرى أن الآيات المتصلة بآية سورة النساء مبنية على الأمر بالعدل والقسط، وتوالت الآي بعد على هذا المعنى فقدم قوله :القسط ليناسب ما ذكر، وأما آية المائدة فثبت قبلها الأمر بالطهارة ثم تذكيره سبحانه بتذكر نعمه، والوقوف مع ما عهد به إلى عباده، والأمر بتقواه، فناسبه قوله :"كونوا قوامين لله" ثم أتبع بما بنى على ذلك من الشهادة بالقسط [2].

وأرجع بعضهم السبب إلى أن قوله في النساء:" كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ " وفي سورة المائدة :" كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ " ؛ لأن لله في هذه السورة متصل ومتعلق بالشهادة بدليل قوله:" وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ " أي ولو تشهدون عليهم، وفي المائدة منفصل ومتعلق بقوامين والخطاب للولاة بدليل قوله:" وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا "[3].

الموضع التاسع عشر :

وقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا} [النساء ١٣٧].

وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا} [النساء ١٦٨]

---

(١) انظر درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الاسكافي:٣٢.

(٢) انظر ملاك التأويل ، أحمد الغرناطي :٣٥٧/١ .

(٣) انظر متشابه القرآن ، الكرماني :١٥٨ .

للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف الكنايتين، عما إليه الهداية الممنوعة، ومع أن مسمى السبيل والطريق واحد ، فما وجه اختلاف باسم السبيل في الأولى والطريق في الثانية؟

والجواب: أن بين الكلمتين فرق واضح حيث إن مواضع السبيل أكثر ترددا في الكلام، ففي إطلاق لفظه توسعة وعموم ليست في إطلاق لفظ طريق، فقد ورد ذكر السبيل في بضع وخمسين موضعا أو نحو ذلك، ولم يقع ذكر الطريق إلا في أربعة مواضع، ثم إن اسم السبيل مع ما تقرر من كثرة ترداده أغلب وقوعا في الخير وسبيل السلامة إفصاحا وإشارة، ولا يكاد اسم الطريق يرد مرادا به السلامة والخير إلا مقرونا بوصف أو إضافة أو ما يخلصه لذلك كقوله تعالى: {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الأحقاف :٣٠] ، وإذا تقرر هذا فقوله في الآية الأولى حاصل منه وسم هؤلاء بشر وصف فليست حال من كفر بعد إيمان كحال من لم يتقدم كفره إيمان، أما الموصوفون في الآية الثانية بالكفر والظلم فدون هؤلاء في شنعة المرتكب والمبالغة في الضلال .

الموضع العشرون :

قوله تعالى: {إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا } [النساء :١٤٩]. وقوله تعالى: {إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّـهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب ٥٤] .

للسائل أن يسأل عن الآية الأولى لم خص فيها " خَيْرًا "؟ ولم عم في الثانية بلفظ " شَيْئًا "؟

الجواب: إنما خص في هذا الموضع الخير بالابتداء، لأنه بإزاء السوء الذي قال فيه : { لَّا يُحِبُّ اللَّـهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّـهُ سَمِيعًا عَلِيمًا } [النساء: ١٤٨]، والمعنى :لا يحب الله أن يجهر بالقول السيِّئ غير المظلوم

وهو أن يدعو على من ظلمه، أو أن يخبر بظلمه له أو أن ينتصر منه بسوء مقاله فيه، فقال: إن أبديتم ثناء وذكرا جميلا لمن يستحقهما أو أخفيتموهما أو سكتم عمن أساء إليكم بالعفو عنه، فإن الله مع قدرته كثير العفو عن خليقته، فاقتضت في هذا المكان المقابلة أن يجعل بإزاء السوء الخير، وأما في الآية الثانية التي في سورة الأحزاب فلأن قبلها تحذيرا من إضمار ما لا يحسن إضماره في قوله تعالى : {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ } [الأحزاب: ٥١]، و { ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنّ } [الأحزاب :٥٣]، فاقتضى العموم(١).

وكان الغرناطي أكثر تفصيلا للمتشابه هنا، فيرى أن من الفروق بينهما :

- قال في النساء "خيرا" وفي الأحزاب "شيئا".
- اختلاف جواب الشرط في الآيتين .
- زيادة قوله تعالى :" أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ في الأولى .

والجواب عن الأول: أن قوله: "إن تبدوا خيرا أو تخفوه" مقصود به خصوص طرف الخير وعمل البر جريا على ما دارت عليه سورة النساء، وتردد فيها من إصلاح ذات البين والندب إلى العفو والتجاوز عن السيئات، ومن هنا لم يتعرض فيها لأحكام الطلاق، وإن كانت السورة مبنية على أحكام النساء، لكن خص من ذلك ما فيه التآلف والإصلاح وما يرجع إلى ذلك، فلما كان مبنى السورة على هذا ناسب ذكر الخير غير مشار إلى ضده إلا بالعفو، وأما آية الأحزاب فالمقصود بها ما يعم الطرفين من الخير والشر فورد التعبير بلفظ مطلق يعمهما معاً.

والجواب عن السؤال الثاني: أن اختلاف جواب الشرط في الآيتين إنما هو بحسب ما يستدعيه فقوله تعالى في الأحزاب: " فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا يبين الجواب لقوله تعالى "إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ" ، وأما قوله في آية النساء :"

---

(١) انظر درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الإسكافي :٦٢-٦٣.

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا " فمنزل على أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فندب سبحانه العباد إلى العفو بإعلامهم أن تلك سنة الله في خلقه .

والجواب عن السؤال الثالث: أن قوله تعالى :" أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ" من تمام ما قصد بالآية من الندب إلى تحصيل أفعال البر، وأن العفو عن السوء من أجلها(١).

قوله إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ" [آية ١٤٩] في هذه السورة وفي الأحزاب" إِن تُبْدُوا شَيْئًا [آية: ٥٤] لأن في هذه السورة وقع الخبر في مقابلة السوء في قوله :" لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ " [آية: ١٤٨].

**

(١) ملاك التأويل ، أحمد الغرناطي :٣٥٨-٣٥٩ .

الخاتمـة

حمدا لك اللهم كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، وصلاة وسلاما على من آتيته جوامع الكلم فكان أفصح العالمين، وبعد ؛

فإن القرآن الكريم بحر زاخر بالكنوز والنفائس ، وبعد هذه الصحبة المباركة مع آيات من الذكر الحكيم في موضوع جدير بالبحث وهو المتشابه اللفظي في سورة النساء ، أقف لأتذوق حلاوة جني ثمرات من الإعجاز القرآني العظيم ، ولست أدعي أنني أوفيت على الغاية بذكر جميع المواضع فيها ، وإنما ذكرت ما تيسر لي بتوفيق الله عز وجل ، وما زالت الآيات تنبض بألوان من الإعجاز ، وتشهد بالبلاغة والجلال ، ما دامت هناك عقول تفكر، وقلوب تتدبر .

وهذا تلخيص لأهم ما اهتديت إليه من نتائج ، إثر هذه الدراسة ، فأقول مستعينة بالله :

- إن القرآن الكريم – بسعة آفاقه ورحابة أبعاده – يُعد مجالا فسيحا للدراسات البلاغية التطبيقية.
- الفاصلة القرآنية لا ترد إلا خدمة للمعنى ، وهذا ما نراه في موضوع المتشابه اللفظي عموما ، فقد رأينا كيف أن المعنى أحيانا يكون واحدا ، وقد ورد في سورتين مختلفتين ، إلا أن السياق استدعى تغيير التعقيبات بما يتلاءم معه ، وعلى عكس ذلك ، فقد يختلف موضوع الحديث ، وتأتي الفواصل متفقة ، ولكن الغالب اختلاف الفواصل لاختلاف المعاني .
- أنَّ المتشابه اللفظي في القرآن هو: الجمَل والآيات المتَّفِقة في معظم الألفاظ، والمختلِفة في اليسير منها، الواردة بأساليب بلاغيَّة متنوعة، مع تشابهها في المعنى؛ وذلك لحكمةٍ بلاغيَّة معجزة.
- سورة النساء زخرت بالمتشابه اللفظي ، فقد وقفت على عشرين موضعا ، وهو موضوع يستلزم الكثير من التدبر والتحليل ، وتوجيه اختلاف الأسلوب فيما تكرر من آيات كريمة .

- النظرة الموضوعية أثناء دراسة أي موضوع من الموضوعات في القرآن الكريم، تكون بتأمل السياق كاملا، مما يجلّي لنا الصورة البلاغية والمعنوية في آن معا.

وختاما، أرجو أن أكون قد وفقت في إضافة الجديد، والجدير في مجال الدراسات القرآنية والبلاغية، فإن أخطأت فمن نفسي، وإن أصبت فنعمة منه عز وجل، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

**

فهرس المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم .

٢) الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة ، بيروت .

٣) أسرار التكرار في القرآن ، محمود بن حمزة الكرماني ، تحقيق :عبد القادر عطا ، دار الاعتصام .

٤) الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١هـ /٢٠٠١ م .

٥) البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض .

٦) البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .

٧) البرهان في متشابه القرآن : محمود الكرماني ، تحقيق : أحمد عز الدين خلف الله ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .

٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين الفيروزآبادي ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت .

٩) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في البلاغة : عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ،١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٠)بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : فاضل السامرائي ، دار عمار ، عمان ، الأردن .

١١)تفسير التحرير والتنوير ، المسمى (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) : محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية ، ١٩٨٤ م .

١٢)تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) : أبو السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٣)تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) : ناصر الدين عبد الله البيضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .

١٤)التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠ م .

١٥)حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : عصام الدين إسماعيل الحنفي ، ضبط وتصحيح : عبد الله محمود عمر ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٢-٢٠٠١م.

١٦)درة التنزيل وغرة التأويل : الخطيب الإسكافي ، دار الآفاق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

١٧)دليل الآيات متشابهة الألفاظ : سراج ملائكة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٨)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الألوسي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

١٩)شرح التلخيص في علوم البلاغة : جلال الدين القزويني ، شرح : محمد هاشم دويدري ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

٢٠)الطراز : يحيى العلوي ، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢ م .

٢١)الكشاف : محمود بن عمر الزمخشري ، دار الريان للتراث ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٢٢)كشف المعاني في المتشابه من المثاني : بدر الدين بن جماعة ، تحقيق :عبد الجواد خلف ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٢٣)لمسات بيانية في نصوص من التنزيل :فاضل السامرائي، دار الفكر، عمان، الأردن .

٢٤)متشابه القرآن العظيم : ابن المنادى ، تحقيق : عبد الله الغنيمان ، كلية القرآن بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

٢٥)المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية : صالح الشثري ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، ١٤٢٥هـ .

٢٦)المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند ابن الزبير الغرناطي :رشيد الحمداوي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، الرباط .

٢٧)ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل :أحمد الغرناطي، تحقيق : محمود كامل أحمد ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٨)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : إبراهيم البقاعي ، دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩ م .

* * *